تدبرٌ في سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، القرآن المكي نزل على النبي ﷺ وهو في المرحلة الأصعب من حياته، إلا أنَّه كان يُوجِّهه من اللحظة الأولى نحو عالمية الدعوة!!، لماذا؟، لأنَّ العالم كان ينتظر محمداً ﷺ، أنت يا أيها النبي لديك مشروعٌ عالمي تستطيع أن تُنقذ به البشرية من الضلالات التي كانت تعيشها آنذاك!.

إذا فهمت هذا أقول لك: الإلحاد مشروعٌ ضخم، لكنَّه عاجزٌ عن تحريك الحياة، وعن تقديم نموذجٍ صالحٍ للبشرية، وسيقع في ورطةٍ أمام كثيرٍ من الأمور، فليس في جُعبته ما يقدمه للبشرية، لأنه معدوم المبادئ.....، مثلاً: سؤال الأخلاق، يُشكِّل أزمةً كبيرةً للملحدين[1]، وقد صرَّح رأس الإلحاد دوكنز بهذا في كتابه «وهم الإله» فقال: «من الصعب جداً الدفاع عن القيم الأخلاقية المطلقة على أرضية غير أرضية الدين»!!، علماً بأنه يوجد ملحدون على خُلق، لكن لا يوجد إلحاد أخلاقي.

نرجع فنقول: إنَّ هذا القرآن الذي جاء للعالمين، يريد أن يقيم العدل ويمنع الظلم، ويتمِّمَ مكارم الأخلاق، ويُحرِّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويُغيِّر السياسات الفاسدة، ويَحكم الحُكَّامَ، ويُعبِّد البشر لله ﷻ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:57-59]، تلك رسالة الإسلام الكبرى، وفي سياقها جاءت دعوة الأفراد لإصلاح أنفسهم وتزكيتها.

(1) انظر كتاب: لماذا الجيد جيد؟ لروبرت هاند، وكذلك كتاب: هل يمكن ان نكون صالحين بدون الله؟ لروبرت بروكمان.